نظرات في التشبيه
دراسة بلاغية

إعداد
الدكتور أشرف حسن مُحَمَّد حسن
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
جامعة المدينة العالمية

ملخص البحث:

تحدث البحث عن قسم من أقسام البلاغة العربية، وهو علم البيان ونوع من أنواعه وهو التشبيه، وجاء البحث في تمهيده متحدثًا عن علم البيان وأهميته، وأقسامه، ثانيًا: أقسام الدلالة، والمبحث الأول تناول ماهية التشبيه، تعريفه، أدواته، الغرض منه، أركانه، وعن أسباب تأثير التشبيه، والغرض منه، وما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه، ثم تناول البحث تقسيمات التشبيه، باعتبار طرفيه، (تشبيه التسوية والجمع)، وباعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ)، وباعتبار أداته (مؤكد، أو مرسل)، وباعتبار الغرض (مقبول، أو مردود)، والخاتمة، وتناول الحديث عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والمقترحات، وما يستجد من موضوعات وثيقة الصلة بهذا الموضوع.

ملقيًا الضوء على بعض ما اشتهر من مفاهيم جاءت على ألسنة بعض علماء الفن، معلقًا عليها.

الكلمات المفتاحية:

علم البيان- أهميته- أقسامه- مباحثه- أقسام الدلالة- التشبيه- تعريفه- تقسيماته.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم نزل القرآن وعلم الإنسان البيان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وإمام البلاغيين وقدوة الغر المحجلين وشفيعنا إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه، الأبرار الأطهار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن مكانة علوم البلاغة والبيان مكان الرأس من علوم العربية؛ لأن من ملك ناصيتها ملك علوم العربية وتميز عن غيره من الناس، ولا فضل لكلام في العربية إلا إذا كان على غرار بلاغتها وبيانها؛ لذلك كان اختياري لباب من أبوابها وهو باب البيان، ولفصل من فصولها وهو التشبيه؛ لنزيل غموض بعضه ونذكر ما يغفله الكثير من تفاصيله لنقف على منزلته بين البلاغة العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد كان اختيار هذا الموضوع مرتكزًا على أسباب من أهمها:

أولًا: الرغبة في إلقاء الضوء على علم البيان الذي يسعى البلغاء، والأدباء، وسائر الناطقين؛ لإظهار منزلته بين أقسام البلاغة العربية.

ثانيًا: الرغبة في الاطلاع على ما ذكره علماء البلاغة حول علم البيان بصفة عامة والتشبيه بصفة خاصة مما أغفل في المؤلفات التي تقع في أيدي الدارسين.

ثالثًا: السمة المميزة للتشبيه من حيث عرض الصورة وإظهارها في أحسن وجه.

أهمية الموضوع في الدراسات البلاغية والنقدية: ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يتعلق بموضوع هام- التشبيه- من البلاغة العربية، وكذلك يتناول أقسامه كاملة مع بيان بعض الإيضاحات التي يحتاج إليها، والتفسيرات والمفاهيم الشائعة التي قد يقع فيها البعض من أمثلة تسمية التشبية البليغ بأنه ما حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه.

ولما وجدت أن هذا المجال يصلح لإلقاء الضوء عليه بنوع من التركيز آثرت الكتابة في هذا الموضوع؛ لتعم الفائدة، وتصل الفكرة منفردة بلا مزاحمة من أفكار أخرى لها فتتضح أيما وضوح.

هذا وإن كان التوفيق حليفي فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى،

فالتقصير مني ومن الشيطان، ونسأل الله السلامة من الزلل والخلل.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

مشكلة البحث:

إن الناظر إلى البلاغة العربية، والبيان العربي، والتشبيه خاصة، يرى بوضوح صورًا من التعبير الفني المتناسق الموضح للمراد، ولذلك كان للبلاغة العربية أهميتها، وللبيان العربي، وللتشبيه بصورة خاصة أهميته، وسيحاول البحث الإجابة عن عدة تساؤلات، وهي:

١- ما المقصود بعلم البيان وما أهميته؟ وما أقسامه؟

٢- ما الذي يتضمنه علم البيان ويبحث فيه؟

٣- ما التشبيه، وما الغرض منه؟ وما أدواته؟ وما أركانه؟ وتقسيماته؟

٤- ما أسباب تأثير التشبيه؟

٥- ما الذي يحتاج إلى توضيح في تعريفات وتقسيمات القدامى؟

أهداف البحث:

سيحاول البحث إلقاء الضوء على البيان وأقسامه، والتشبيه وتقسيماته، وسيهدف بصورة عامة إلى:

- بيان ماهية علم البيان وأهميته، وأقسامه.
- توضيح تقسيمات علم البيان.
- بيان التشبيه، والغرض منه، وأدواته، وأركانه، وتقسيماته.
- ذكر أسباب تأثير التشبيه.
- نظرات وتوضيحات في تعريفات وتقسيمات القدامى للتشبيه.

أهم الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات السابقة التي تحدثت عن البيان بصفة عامة، وعن التشبيه بصفة خاصة، وعن بعض تقسيمات التشبيه، بصورة أخص، منها ما تناول كتاب الله تعالى، ومنها ما تناول كتب الحديث الشريف، ومنها ما تناول الشعر قديمًا وحديثًا، وكانت في مجملها دراسات تطبيقية، ومن تلك الدراسات على وجه المثال فقط:

• صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية، إعداد أحمد عبد الله الكاف، إشراف زهير احمد المنصور، (بحث ماجستير)، جامعة مؤتة ١٩٩٦، ١٦٩ ورقة تحدث الباحث عن دراسة تطبيقية في التشبيه، دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، وتختلف عن هذا البحث في كونه دراسة نظرية ناقدة لبعض اتجاهات الأوائل في بيان بعض مصطلحات التشبيه.

• التشبيه؛ صوره وألفاظه: دراسة تطبيقية في القرآن الكريم، إعداد أحمد لزهري بلخضر، إشراف خالد أبو جندي- عمار عموش، (ماجستير)، جامعة باتنة ١٩٩٢، ٢٨٧ ورقة، تناول فيه الباحث صورًا من تشبيهات القرآن وخصائص ألفاظه، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم وورقتي نظرية ناقدة.

• التشبيه القرآني وأثره في الصورة الفنية القرآنية، رسالة ماجستير، أنور بدر الدين، تناول فيه الباحث الصورة الفنية في تشبيهات القرآن وخصائصها الفنية، وأثرها في إيضاح المعنى وإثرائه، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم وورقتي نظرية ناقدة.

• التشبيه في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، رسالة دكتوراه، إسماعيل دوموش، تناول فيه الباحث التشبيه في القرآن والشعر الجاهلي مبينًا بعض الفروق بينها، وروائع تشبيهات القرآن، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم والشعر الجاهلي، وورقتي نظرية ناقدة.

• التشبيهات القرآنية عند ابن ناقيا البغدادي، دراسة تحليلية، بلقيس مُحَمَّد الطيب إدريس، رسالة ماجستير، تناول فيه الباحث تشبيهات القرآن وخصائص ألفاظه، من منظور ابن ناقيا البغدادي، بالتحليل والدراسة، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تحليلية لنظرة عالم كبير وهو ابن ناقيا، وورقتي نظرية ناقدة، تتناول التشبيه كفن..

• خصائص التشبيه في القرآن الكريم، عبد الحميد مُحَمَّد العيسوي، رسالة دكتوراه، تناول فيه الباحث صورًا من تشبيهات القرآن وخصائصه، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم وورقتي نظرية تتناول فن التشبيه بصورته التقليدية.

• التشبيه في آيات القرآن، عبد الرحمن علي خليل، رسالة ماجستير، تناول فيه

الباحث صورًا من تشبيهات القرآن وخصائصه، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم وورقتي نظرية تتناول فن التشبيه بصورته التقليدية.

- والتشبيهات القرآنية ومدى تأثيرها في النفوس، دخيل الله الرحيلي، رسالة ماجستير، تناول فيه الباحث تشبيهات القرآن وخصائصها النفسية ومدى تأثيرها في النفوس، فيما يشبه الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في القرآن الكريم وورقتي نظرية تتناول فن التشبيه بصورته التقليدية.

- التشبيه في الحديث النبوي من خلال صحيح البخاري، إعداد مُحَمَّد طالب عمرو؛ إشراف أهيف سنو، (ماجستير)، جامعة القديس يوسف ١٩٩٧، ٢١٤م ورقة، وتناول الباحث البلاغة النبوية من خلال عرض التشبيه في صحيح البخاري، وتختلف عن هذه الورقة في أنها ورقة تطبيقية في أحاديث صحيح البخاري وورقتي نظرية تتناول فن التشبيه بصورته التقليدية.

- ومنها التشبيه التمثيلي في الصحيحين.
- التشبيه في صحيح مسلم.
- دراسة تحليلية، التشبيه في مختارات البارودي. دراسة تحليلية.

تلك هي أشهر الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بصورة تطبيقية، تتشابه في دراسة التشبيه مع بحثي ولكنها تطبيقية وبحثي دراسة نظرية تريد إظهار وتوضيح بعض المصطلحات التي تناولت فن التشبيه لإلقاء الضوء على سلامتها.

منهج البحث:

سيعتمد هذا البحث في منهجه على، المنهج الوصفي؛ لبيان معاني التشبيه وتقسيماته، وستناول الآراء والمذاهب بصورة نقدية.

هيكل البحث:

سيتكون البحث -بمشيئة الله تعالى- من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة ومراجع، وفهارس، وسأتناول في المقدمة الحديث عن الموضوع وأهميته، وسبب اختياره، والتمهيد، وسيشتمل على: أولًا علم البيان وأهميته، أقسامه. ثانيًا : أقسام الدلالة، والمبحث الأول سيتناول ماهية التشبيه، وسيكون في مطلبين؛ المطلب الأول: التشبيه، تعريفه، أدواته، أسباب تأثيره، والمطلب الثاني: الغرض من التشبيه، وأركانه. والمبحث الثاني: تقسيمات التشبيه، وفيه أربعة مطالب، المطلب الأول: أقسام التشبيه باعتبار طرفيه، (تشبيه التسوية والجمع)، والمطلب الثاني: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ)، والمطلب الثالث: أقسام التشبيه باعتبار أداته(مؤكد، أو مرسل)، والمطلب الرابع: أقسام التشبيه باعتبار الغرض(مقبول، أو مردود)، والخاتمة، وستتناول الحديث عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، والمقترحات، وما يستجد من موضوعات وثيقة الصلة بهذا الموضوع.

تقسيمات البحث:

المقدمة، وستتناول الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهج البحث، وتقسيمات البحث.

التمهيد، ويشتمل على:

أولًا: علم البيان وأهميته، وأقسامه.

ثانيًا : أقسام الدلالة.

المبحث الأول: عن ماهية التشبيه، وسيكون في مطلبين:

المطلب الأول : التشبيه، تعريفه، أدواته، أسباب تأثير التشبيه.

المطلب الثاني: الغرض من التشبيه، أركان التشبيه.

المبحث الثاني: أركان التشبيه، وتقسيمات التشبيه، وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: أقسام التشبيه باعتبار طرفيه، (تشبيه التسوية والجمع).

المطلب الثاني: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ).

المطلب الثالث: أقسام التشبيه باعتبار أداته (مؤكد، أو مرسل).

المطلب الرابع: أقسام التشبيه باعتبار الغرض (مقبول، أو مردود).

الخاتمة: وسأتناول فيها، أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، و الموضوعات التي أثارها البحث.

ثم فهرس لأهم المصادر المراجع، والفهرس العام للبحث.

التمهيد

ويشتمل على ما يلي

أولًا: علم البيان وأهميته، وأقسامه.

ثانيًا: أقسام الدلالة.

أولًا: علم البيان وأهميته، وأقسامه:

قال الإمام عبد القاهر: "اعلم أن الكلام هو الذي يُعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشفُ عن صُوَرها، ويجني صنوفَ ثَمَرها، ويدلُّ على سرائرها، ويُبْرِزُ مكنون ضمائرها، وبه أبان الله- تعالى- الإنسان من سائر الحيوان، ونبّه فيه على عِظَم الامتنان، فقال عزّ من قائل: "ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ"[(١)]، فلولاه لم تكن لتتعدَّى فوائدُ العلمِ عالِمَه، ولا صحَّ من العاقل أن يَفْتُق عن أزاهير العقلِ كمائمه، ولتعطَّلَت قُوَى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوَتِ القضيّة في مَوْجُودَها وفانيها، نَعمْ، ولوقع الحيُّ الحسَّاس في مرتبةِ الجماد، ولكان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد"[(٢)].

وقال الجاحظ: "والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أيّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغاية التي إليها يجرِي القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع"[(٣)].

وهذا التعريف جامع لكل ألوان البلاغة من: معان، وبيان، وبديع.

وإلى ذلك أشار ابن الأثير، حيث ذكر أن موضع موضوع علم البيان، الفصاحة

---

(١) الرحمن: ١-٤

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة: ص ٢١، شرح وتحقيق د/ عبد المنعم خفاجى ود/ عبد العزيز شرف، طبعة دار الجيل بيروت، لبنان، الجزء الأول، سنة ١٩٩١م..

(٣) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في البيان والتبيين: (٧٦/١)، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

والبلاغة قائلًا: "موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة"(١).

أما علم البيان؛ فهو قسيم المعاني والبديع، فقد عرفه علماء البلاغة بأنه: "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة عليه"(٢).

وقد عرفه مُحَمَّد بن علي الجرجاني بأنه: "علم يعرف منه كيف يدل على معنى خاجي يتوسط الوضع والعقل معًا"(٣).

مباحث علم البيان:

إن علم البيان يبحث في:

١- التشبيه. ٢- والمجاز.

٣- والاستعارة. ٤- والكناية.

ثانيًا : أقسام الدلالة:

قال الخطيب: "دلالة اللفظ: إما على ما وضع له، أو على غيره، والثاني: إما داخل في الأول، دخول السقف في مفهوم البيت... أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف... وتسمى الأولى دلالة وضعية، وكل واحد من الآخرين دلالة عقلية، وتختص الأولى: بدلالة المطابقة، والثانية: بدلالة التضمن، والثالثة: بدلالة الالتزام"،(٤) وأضاف الخطيب بأن: "اللفظ المراد به لازم ما وضع له: إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له، فهو المجاز، وإلا، فهو كناية. ثم المجاز منه استعارة، وهي تبتني على التشبيه، فيتعين التعرض له فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية، وقدم التشبيه على المجاز؛ لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه، وقدم المجاز على الكناية؛ لنزول معناها منزلة الجزء من الكل"(٥).

---

(١) ابن الأثير، ضياء الدين ابن الأثير المثل السائر لابن الأثير (١/ ٢٠)، تحقيق: كامل مُحَمَّد مُحَمَّد عويضه.

(٢) القزويني، الخطيب، في الإيضاح: ص ٢٤٦، والصعيدي عبد المتعال في،بغية الإيضاح: (٣/٧٧)، و ابن مالك، بدر الدين، في المصباح: ص ١٠٣، والعلوي في الطراز: ص٥٤٩، و والجرجاني، في الإشارات والتنبيهات: ص١٥٠، نقلًا عن الخطيب.

(٣) الإشارات والتنبيهات: ص١٤٩.

(٤) الإيضاح: ص ٢٤٦.

(٥) الإيضاح: ص ٢٤٧.

ومما سبق يتضح أن: التشبيه طريق رائع من طرق الدلالة التي تعبر عن معنى وفي طياته إيحاءات ومعان كثيرة، ومن هنا كانت الرغبة في إلقاء الضوء على ما ذكره السابقون بصورة ناقدة.

المبحث الأول: ماهية التشبيه

وسيكون في مطلبين:

المطلب الأول : التشبيه، تعريفه، أدواته، أسباب تأثير التشبيه.

المطلب الثاني: الغرض من التشبيه، أركان التشبيه.

المطلب الأول: التشبيه، تعريفه، أدواته، أسباب تأثير التشبيه.

التشبيه:

قال عنه الإمام عبد القاهر: "وهل تشكُّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشئِمِ والمعْرِق، وهو يُرِيكَ للمعاني الممثَّلة بالأوهام شَبَهًا في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس، ويُعطيك البيان من الأعجم، ويُريك الحياةَ في الجماد، ويريك التئامَ عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماءِ والنارِ مجتمعين، كما يقال في الممدوحِ هو حياة لأوليائه، موت لأعدائه"(١).

و"الذي عليه جمهور أهل هذه الصناعة، أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه، وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها إلى أن التشبيه من المجاز؛ لأنه معنى من المعاني، وله حروف وألفاظ تدل عليه وضعًا كان الكلام على حقيقته أو مجاز، فإذا قلت: زيد كالأسد، وهذا الخبر كالشمس في الشهرة، وله رأي كالسيف في المضاء، لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضعه، فلا يكون مجازًا"(٢).

ولا أرى أن التشبيه من أنواع المجاز لأنه لا يدعى فيه دخول المشبه في جنس المشبه به وإنما يبنى على المماثلة والمشابهة ولا خلاف في الفرق بين قولنا: سلمت على أسد في الطريق، وبين مُحَمَّد كالأسد، وأرى أن ما حدا بالبعض لاعتبار التشبيه من المجاز هو اعتماد الاستعارة عليه.

(١) أسرار البيان: ص ١٣٤.

(٢) ابن القيم في الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ص ٥٤، طبعة مكتبة المتنبي بدون تأريخ.

تعريف التشبيه:

التَّشْبِيهُ نَوْعٌ مِنْ أَشْرَفِ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ وَأَعْلَاهَا، قَالَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ لَوْ قَالَ قَائِلٌ هُوَ أَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ لَمْ يَبْعُدْ، وَعَرَّفَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ السَّكَّاكِيُّ: "بِأَنَّهُ الدلالة على مشاركة أمر لِأَمْرٍ فِي مَعْنًى وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ هُوَ إِخْرَاجُ الْأَغْمَضِ إِلَى الْأَظْهَرِ. وَقَالَ غَيْرُهُ هُوَ إِلْحَاقُ شَيْءٍ بِذِي وَصْفٍ فِي وَصْفِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ أَنْ تُثْبِتَ لِلْمُشَبَّهِ حُكْمًا مِنْ أَحْكَامِ الْمُشَبَّهِ بِهِ وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَأْنِيسُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا مِنْ خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ وَإِدْنَائِهِ الْبَعِيدَ مِنَ الْقَرِيبِ لِيُفِيدَ بَيَانًا. وَقِيلَ الْكَشْفُ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مَعَ الِاخْتِصَارِ"(١).

"إذا عرفت ذلك فاعلم أن التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأنه إذا جاء في أعقاب المعاني أفادها جمالا، وزادها كمالًا، وضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها على اختلاف فنونها، وإن أردت تحقيق ذلك؛ فانظر إلى التشبيه"(٢).

وعرفه مُحَمَّد بن علي الجرجاني بأنه: "تشبيه شيء بشيء؛ ليدل على حصول صفة المشبه به في المشبه، وبشترط أن تكون أظهر صفاته وأخصها به"(٣).

ونقل ابن القيم الجوزية تعريفات لا تفارق ما ذكر، فقال: "اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حده، فقال قوم: حده، أن تثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به"(٤)، "وقال قوم حده: الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني، وأن أحدهما يسد مسد الآخر، وينوب منابه"(٥).

---

(١) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: (٣/ ١٢٨)، وينظر تعريفه في: الإيضاح: ص ٢٤٨، وبغية الإيضاح: (٣/ ٧)، ومعجم البلاغة العربية: ص ٣٠٠.

(٢) علي خان ميرزا، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن مُحَمَّد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ في، أنوار الربيع في أنواع البديع:(٣٩٨/١)، المحقق: شاكر هادي شُكر، مطبعة النعمان، النجف الشريف، 1969 - 1968م.

(٣) الإشارات والتنبيهات: ص ١٥٢.

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن الكريم: ص ٥٥.

(٥) السابق: ص ٥٥.

أدوات التشبيه:

وللتشبيه أدوات (حروف وأسماء وأفعال)، فالحروف: الكاف، وكأنّ، والأسماء: مثل، وشبه، وكل ما يشتق من المماثلة والمشابهة." والأفعال، نحو:(ﭽ ﭾ ﭿ)، (ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ). قال في التلخيص تبعًا للسكاكي: وربما يُذكر فعلٌ يُنْبئ عن التشبيه فيؤتى بالتشبيه القريب، بنحو: علمت زيدًا أسدًا الدال على التحقيق. وفي البعد بنحو: حسبتُ زيدأ أسدًا الدال على الظن وعدم التحقيق. وخالفه جماعة منهم الطيبي فقالوا في كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء، والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه في القرب والبعد، وأن الأداة محذوفة مقدَّرة لعدم استقامة المعنى بدونه"(١).

أسباب تأثير التشبيه:

لتأثير التشبيه أسباب أهمها: "ما يحصل للنفس من الأُنس بإخراجها من خفي إلى جلي، كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته. كما قيل: ما الحُبّ إلا للحبيب الأول"(٢).

" أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم؟، كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقِصَر:" يوم كأقصر ما يُتصور"، فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم:" أيام كأباهيم القَطَا"(٣) (٤).

ومن فضائل التشبيه: أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء متعددة وصور متنوعة، نحو أن يعطيك الرجل الجواد بحرًا والرجل الشجاع أسدًا، ويعطيك من حراة النار مثالًا على الجواد الذكي من الناس والناجح في الأمور، ومن ضعف النار نفسهًا مثالًا على البخيل البليد

(١) الإتقان في علوم القرآن:(٣/ ١٢٨، ١٢٩).

(٢) هو من قول أبي تمام:

كم منزلٍ في الأرضِ يألفهُ الفتَى *** وحنينهُ أبدًا لأوَّلِ منزلِ

نقِّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوَى *** ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ

يريد: أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول؛ لإلفه له، وهذا هو محل الشاهد.

(٣) الأباهيم: جمع إبهام، وهو الإصبع المعروف.

(٤) الإيضاح: ص ٢٥٠، وبغية الإيضاح:(٣/ ٩).

والخيبة في السعي، ويعطيك من القمر جمالًا في المرأة تامًا، ونقصانًا في جانب البعد والنأي وبعد المنال، وهكذا التشبيه بصوره المتعددة وتوجيهاته الجيدة.

وأرى أن أهم أسباب تأثير التشبيه هو إعطاء السامع المعنى في حلة غير تقليدية وبتركيب مميز وفي صورتين مختلفتين تزيل إبهاما أو توضح معنى.

المطلب الثاني: الغرض من التشبيه، وأركان التشبيه:

الغرض من التشبيه:

أشار سابقًا إلى فائدته الإمام عبد القاهر، وأشار إلى فائدته أيضًا ابن القيم الجوزية، فقال: "وفائدته الكشف عن المعنى المقصود، مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز والاختصار، والدليل على ذلك قولنا: زيد أسد، فإن الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد، وأنه متصف بشهامة النفس، وقوة البطش، والشجاعة، وغير ذلك مما جري هذا المجرى، إلا أنا لم نجد شيئًا يدل عليه، سوى ما جعلناه شبيهًا بالأسد؛ حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه؛ فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا: زيد شهم شجاع قوي البطش جريء الجنان، وأشباه ذلك؛ لما قد عرف من هذه الصفات في المشبه به؛ فإنه معروف بها مشهور بكونها فيه"(١).

الغرض من التشبيه:

وأما الغرض من التشبيه، فيعود في الأغلب إلى المشبه، وقد يعود إلى المشبه به.

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه:

أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة:

منها بيان أن وجود المشبه ممكن: وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالَف فيه ويدعّى امتناعه، كقول أبي الطيب:

فإن تَفُقِ الأنام وأنت منهم *** فإن المسك بعض دم الغزال(٢)

والفاء في قوله: "فإن المسك" تفيد التعليل، والجواب محذوف تقديره، فلا غرابة في ذلك.

(١) المرجع السابق: ص ٥٤- ٥٥.

(٢) المتنبي.

والتشبيه في البيت يسمى معنويًا وضمنيًا ومكنيًا عنه؛ لأنه ذكر في الكلام لازم التشبيه، وهو وجه الشبه –فوقان الأصل– وأريد الملزوم وهو التشبيه.

ومنها بيان حاله؛ كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد، إذا عُلم لون المشبه به دون المشبه، ومنها بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان؛ كما في قوله:

مداد مثل خافية الغراب[١]

ومنها: تقرير حاله في نفس السامع، كما في تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يَرْقِم على الماء... وهذه الوجوه تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم، بمعنى أقوى وأكمل، وهو به أشهر، بمعنى أعرف.

ومنها: تزيينه للترغيب فيه، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي.

ومنها: تشويهه للتنفير عنه، كما في تشبيه وجه مجدور بسِلحة جامدة قد نقرتها الديكة...

ومنها: استطرافه: كما في تشبيه فحم فيه جمرة موقد ببحر من المسك مَوْجه الذهب؛ لإبرازه في صورة الممتنع عادة. وللاستطراف وجه آخر، وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور، إما مطلقا كما مر[٢]، وإما عند حضور المشبه؛ كما في قوله:

ولازَوَرْدية تزهو بزرقتها *** بين الرياض على حمر اليَوَاقيت
كأنها فوق قامات ضعُفن بها *** أوائل النار في أطراف كبريت[٣]

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب، وإنما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج، فإذا أُحضر مع

(١) هو من قول الحسن بن وهب: مداد مثل خافية الغرب... صفوف صلاة قام فيها إمامها والخافية: إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها خواف، والمرهقة: المدقة، والحداد: جمع حديد، وهو القاطع يعني: السيوف القواطع، وروى" الحرب" بدل الحداد جمع حربة، وهي آلة قصيرة محددة، وربما استعملت للرمح، وروى لأبي تمام:
مداد مثل حافية الغراب... وقرطاس كرقراق السحاب.

(٢) في تشبيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب، فهو مستطرف من ناحية امتناعه في الخارج، ومن ناحية ندرة حضوره في الذهن.

(٣) هما لعبد الله بن المعتز، واللازوردية: البنفسج، وهي نسبة تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد.

صحة الشبه استُطرف لمشاهدة عناق بين صورتين لا تتراءى ناراهما.

والمراد تشبيه أزهارها، وقوله:" تزهو" بمعنى تتكبر، وقوله: "حمر اليواقيت"، من إضافة الصفة إلى الموصوف، وإنما جعل التشبيه بأوائل النار في أطراف كبريت؛ لأناه في أعلاها تكون حمراء صافية لا زرقاء.

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه:

وأما الثاني فيكون في الغالب إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه، وذلك في التشبيه المقلوب، وهو أن يكون الأمر بالعكس، كقول مُحَمَّد بن وهيب:

وبدا الصباح كأن غرته *** وجه الخليفة حين يمتدح

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء.

وقد يكون الغرض العائد على المشبه به بيان الاهتمام به، كتشبيه الجائع وجهًا كالبدر في الإشراق والاستدارة بالرغيف؛ إظهارًا للاهتمام بشأن الرغيف لا غير، وهذا يسمى إظهار المطلوب...

هذا(١) كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء بالزائد، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر، فالأحسن ترك التشبيه إلى الحكم بالتشابه؛ ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به؛ احترازًا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر، كقول أبي إسحاق الصابي:

تشابه دمعي إذ جرى ومدامتي*** فمن مثل ما في الكأس عيني تسكُب

أركان التشبيه:

ثم النظر في أركان التشبيه، وهي أربعة: طرفاه، ووجه، وأدواته، وفي الغرض منه. وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات.

طرفا التشبيه: أما طرفاه فهما إما حسيان، كما في تشبيه الخد بالورد، والقَدّ بالرمح، والفيل بالجبل في المبصرات، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات، والنكهة بالعنبر في

(١) إشارة إلى ما مضى عليه الكلام في التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهًا، والآخر مشبهًا به على التعيين، وما تفرع على ذلك من الكلام.

المشمومات، والريق بالخمر في المذوقات، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات، وإما عقليان؛ كما في تشبيه العلم بالحياة، وإما مختلفان؛ والمعقول هو المشبه؛ كما في تشبيه المنية بالسبع، أو العكس، كما في تشبيه العطر بخُلق كريم.

والمراد بالحسي المدرَك -هو أو مادته- بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، فدخل فيه الخيالي، كما في قوله:

وكأن محمر الشقيـ ***ـق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نُشر *** ن على رماح من زبرجد(١)

والخيالي في ذلك هو المشبه به (أعلام ياقوت نشرن على رماح زبرجد).

والمراد بـ "العقلي" ما عدا ذلك، فدخل فيه الوهمي؛ وهو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أُدرك لم يدرك إلا بها، كما في قول امرئ القيس:

ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وعليه قوله تعالى: "طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ"(٢)، وكذا ما يُدرَك بالوجدان، كاللذة، والألم، والشبع، والجوع.

وجه الشبه:

فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقا أو تخييلا، والمراد بالتخييل ألا يُمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل، كما في قول القاضي التنوخي:

وكأن النجوم بين دجاها***سنن لاح بينهن ابتداع(٣).

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بِيض في جوانب شيء

---

(١) البيتان لأحمد بن محمد بن ال الضجي، المعروف بالصنوبري. والشقيق: نبات أحمر الزهر، يسمى شقائق النعمان، وقد أفرده لضرورة الشعر، وقوله: تصوب أو تصمد بمعنى: مال إلى أسفل وإلى أعلى، فـ" أو" بعنى: الواو، والياقوت: حجر نفيس تختلف ألوانه، والمراد هنا الأحمر، والزبرجد: حجر نفيس أشهره الأخضر، وهو المراد هنا، والخيالي في ذلك هو المشبه به.

(٢) الصافات: ٦٥.

(٣) القائل التنوخي، وهو علي بن محمد بن داود بن فهم. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة، والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم، وفي الشطر الثان قلب، والأصل: سنن لاحت بين انتداع؛ لأن هذا هو المرافق.

مظلم أسود، فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة، فلا يهتدي إلى الطريق، ولا يفصل الشيء من غيره؛ فلا يأمَن أن يتردّى في مَهْوَاة؛ أو يعثر على عدو قاتل، أو آفة مهلكة، شبهت بالظلمة، ولزم -على عكس ذلك- أن تشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور.

الوجه الواحد، وغيره والحسي والعقلي:

تقسيم آخر باعتبار آخر: وجه الشبه إما واحد، أو غير واحد، والواحد: إما حسي، أو عقلي. وغير الواحد: إما بمنزلة الواحد؛ لكونه مركبًا من أمرين أو أمور، أو متعدد غير مركب، والمركب إما حسي، أو عقلي. والمتعدد: إما حسي، أو عقلي، أو مختلف، والحسي لا يكون طرفاه إلا حسيين؛ لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسي شيء، والعقلي طرفاه؛ إما عقليان، أو حسيان، أو مختلفان؛ لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء؛ ولذلك يقال: التشبيه بالوجه العقلي أعم من التشبيه بالوجه الحسي.

قال الشيخ صاحب المفتاح: "وهاهنا نكتة لا بد من التنبه لها، وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأبى أن يكون غير عقلي؛ وذلك أنه متى كان حسيًا- وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودًا في الطرفين، وكل موجود له تعين- فوجه الشبه مع المشبه متعين، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجودًا مع المشبه به؛ لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا، مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت، وهو استلزامه إذا عُدمت حمرة الخد دون حمرة الورد، أو بالعكس: كون الحمرة معدومة موجودة معًا، وهكذا في أخواتها، بل يكون مثله مع المشبه به، لكن المِثلين لا يكونان شيئًا واحدًا، ووجه الشبه بين الطرفين- كما عرفتَ- واحد، فيلزم أن يكون أمرًا كليًا مأخوذًا من المثلين بتجريدهما عن التعين، لكن ما هذا شأنه فهو عقلي[(١)].

الواحد الحسي: كالحمرة، والخفاء، وطِيب الرائحة، ولذة الطعم، ولين الملمس في تشبيه الخد بالورد، والصوت الضعيف بالهمس، والنكهة بالعنبر، والريق بالخمر، والجلد الناعم

(١) السكاكي، في مفتاح العلوم: (١/ ٣٣٥).

بالحرير. والواحد العقلي: كالعَراء عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعدمه. والمركب الحسي طرفاه؛ إما مفردان: كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكُرّي، والمقدار المخصوص في قول ذي الرمة:

وسِقْط كعين الديك عاورت صاحبي***أباها وهيأنا لموقعها وكرًا(١)

وإما مركبان كالهيئة الحاصلة من سقوط أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار، متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا***وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه(٢).

وإما مختلفان، كما في تشبيه الشاة الجبليّ بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا.

والمركب العقلي: كالمنظر المطمِع مع المخْبَر المؤيس الذي هو على عكس ما قدّر في قوله تعالى: " وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ "(٣).

شبه ما يعمله من لا يُقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يَخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدّر، بسراب يراه الكافر بالساهرة(٤)، وقد غلبه عطش يوم القيامة، فيحسبه ماء فيأتيه، فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده، فيأخذونه، فيعتِلونه(١). إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق. فهو كما ترى منتزع من أمور

(١) ذو الرمة، غيلانبن عقبة بن مسعود. والسقط: النار الساقطة من الزند، وهي تنزل منه، ووسطها أسود، وحافتها حمراء كعين الديك. وقوله: عاورت، بمعنى ناوبت، وكان من عادتهم عند استخراج النار أن يأتوا بعودين، فيضعوا أحدهما أسفل ويسموه أنثى، ثم يفرضوا فيه فرضًا ويحروا فيه عودًا آخر يسمونه أبًا، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار تناوبوه، والوكر: ما تودع فيه النار بعد خروجها.

(٢) مثار النقع: اسم مفعول من أثار بمعنى هيجه، والنقع: الغبار، وقوله تهاوى: بمعنى تساقط أصله تتهاوى، والواو في قوله: "وأسيافنا"، إما واو المعية، أو عاطفة متضمنة معنى مع؛ لأن الواو التي لخالص العطف لا تكون في المركب، وإنما تكون في المتعدد.

(٣) النور: ٣٩.

(٤) الساهرة: الأرض البيضاء المستوية، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم" عين ساهرة" جارية الماء.

(١) يقودون بعنف وغلظة، وهو أن يؤخذ بتسليب الرجل فيجر إلى الحبس.

مجموعة قُرن بعضها إلى بعض، وذلك أنه روعي من الكافر فعل مخصوص، وهو حسبان الأعمال نافعة له، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة، وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها، بشرط الإيمان به وبرسله عليهم السلام، وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئا، وأنهم يلقَّوْن فيها عكس ما أمّلوه وهو العذاب الأليم، وكذا في جانب المشبه به. والمتعدد الحسي: كاللون والطعم والرائحة في تشبيه فاكهة بأخرى. والمتعدد العقلي؛ كحدّة النظر، وكمال الحذر، وإخفاء السفاد في تشبيه طائر بالغراب[١].

والمتعدد المختلف: كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيه إنسان بالشمس.

المبحث الثاني: أركان التشبيه، وتقسيمات التشبيه

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أقسام التشبيه باعتبار طرفيه،(تشبيه التسوية والجمع).

المطلب الثاني: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ).

المطلب الثالث: أقسام التشبيه باعتبار أداته (مؤكد، أو مرسل).

المطلب الرابع: أقسام التشبيه باعتبار الغرض (مقبول، أو مردود).

المطلب الأول: أقسام التشبيه باعتبار طرفيه، (تشبيه التسوية والجمع).

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه:

وأما تقسيم التشبيه: باعتبار طرفيه أربعة أقسام:

الأول: تشبيه المفرد بالمفرد: وهو ما طرفاه مفردان: إما غير مقيدين، كتشبيه الخد بالورد ونحوه... وإما مفردان مقيدان[٢]، كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء: "هو كالقابض على الماء، وكالراقم في الماء"، فإن المشبه هو الساعي، لا مطلقًا، بل مقيدًا بكون سعيه كذلك، والمشبه به هو القابض أو الراقم، لا مطلقًا، بل مقيدًا بكون قبضه على الماء أو رقمه

(١) القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمّد بن سعدالدين بن عمر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٢٠. الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨م.

(٢) وعلى هذا يكون وجه الشبه عقليًا.

فيه؛ لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك؛ لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها، فإذا كان مما لا يتماسك، فقبضها عليه، وعدمه سواء، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه، فإذا فُعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور... وإما مختلفان، والمقيد هو المشبه به، كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل(١)

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق، بل بقيد كونها في يد الأشل.

أو على عكس ذلك، كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس.

الثاني: تشبيه المركب بالمركب: وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان، كما في قول البحتري:

ترى أحجاله يصعدن فيه *** صعود البرق في الغيم الجَهَام(٢).

لا يريد به تشبيه بياض الحُجول على الانفراد بالبَرْق، بل المقصودُ الهيئةُ الخاصّة الحاصلةُ من مخالطة أحد اللونين الآخر...

وهذا القسم ضربان:

١- ما لا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقوله:

غدا والصبح تحت الليل بادٍ ... كطِرْف أشهب ملقى الجِلال(١)

(١) القزويني جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٣٠. الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨م.

قيل: إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبي اللجم:

والشمس كالمرآة في كف الأشل *** لما رأيتها بدت فوق الجبل

وقد ورد في الخزانة، شاهد رقم: ٢٩١، منسوبًا إلى جبار بن جزء، والمراد بالأشل: المرتعش اليد؛ لأن المرآة إنما تؤدي هذه الحركة في كفه، والشلل في الأصل يبس اليد أو ذهابها، وقد يطلق على ارتعاشها، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها.

(٢) الأحجال جمع حجل، وهو البياض في رجل الفرس، والجهام: السحاب لا ماء فيه. يشبه الفرس أثناء عدوه بذلك.

(١) البيت لعبد الله بن المعتز، والضمير في قوله:" غدا" يرجع إلى الساقي في قوله قبله:

وساق يجعل المنديل منه *** مكان حمائل السّيف الطّوال

=

فإن "الجلال" فيه في مقابلة "الليل"، ولو شبهه به لم يكن شيئًا...

٢- ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر، غير أن الحال تتغير، ومثاله قوله:

وكأن أجرام النجوم لوامعًا ... درر نثرن على بساط أزرق(١)

فإنه لو قيل: كأن النجوم درر، وكأن السماء بساط أزرق، لكان تشبيها صحيحا، لكن أين يقع من التشبيه الذي يُريك الهيئة التي تملأ القلوب سرورا وعجبا من طلوع النجوم مؤتلقة متفرقة في أديم السماء، وهي زرقاء زرقتها الصافية؟!(٢).

الثالث: تشبيه المفرد بالمركب: كما مر من تشبيه الشاة الجَبَليّ والشقيق والنيلوفر.

تشبيه المفرد بالمركب، مثل قوله تعالى: "مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ "(٣)

الرابع: تشبيه المركب بالمفرد: كقول أبي تمام(٤):

يا صاحبيّ تقصيا نظريكما *** تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارًا مشمسًا قد شابه*** زهر الربا فكأنما هو مقمر

يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته، قارب لونه السواد، وانتقص من ضوء الشمس، حتى كأنه ليل مقمر، فشبه النهار المشمس الذي قد خالطه زهر الربا، بالليل المقمر، والأول مركب، والثاني مفرد مقيد.

=

والبادي: الظاهر، والطرف: الفرس الكريم، والأشهب: الأبيض، والجلال: جمع جل، وهو للدابة كالثوب للإنسان، والمراد أنه أدبر عن ظهره؛ حتى تكشف أكثر جسده، لا أنه رمى به جملة حتى انفصل منه؛ لأنه مع هذا لا يأتي ذلك التشبيه؛ لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد.

(١) البيت لأبي طالب الرقى، ويريد لوامعًا في السماء، حتى يكون هناك زرقة في المشبه أيضًا، وقد حذف للعلم به.

(٢) الإيضاح: ص ٢٣٢.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) أبو تمام، وقوله: تقصيا نظريكما، بمعنى أبلغاه أقصاه، وقوله: تصور، أصله تتصور، بمعنى تتشكل، والمرادترياها قائلين ذلك على وجه التعجب، فالاستفهام مقول لقول محذوف، والنهار المشمس: الذي لا غيم فيه، وقوله: شابه: بمعنى خالطه، والربا: جمع ربوة، وهي الأرض المرتفعة، ومقمر: صفة لمحذوف تقديره ليل مقمر، وإني أرى أنه لاحاجة إلى تقدير هذا المحذوف، والمراد: أن نبات الربا مع زهره قد خالطا النهار المشمس؛ لأن خضرة النبات داخلة أيضًا في هذا التشبيه.

التشبيه الملفوف والمفروق:

وأيضًا إن تعدد طرفاه، فهو إما ملفوف أو مفروق. فالملفوف ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما، كقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطبًا ويابسًا***لدى وكرها العناب والحشف البالي(١)

وغير الملفوف بخلاف ذلك، كقول، المرقِّش الأكبر:

النشر مسك والوجوه دنا***نير وأطراف الأكف عَنَم(٢)

ومنه قول أبي الطيب:

بدت قمرًا ومالت خُوط بان***وفاحت عنبرًا ورَنَت غزالًا(٣)

تشبيه التسوية والجمع:

وإن تعدد طرفه الأول، أعني المشبه، دون الثاني، سمي تشبيه التسوية، كقول الآخر:

صدغ الحبيب وحالي *** كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء *** وأدمعي كاللآلي(٤)

وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها؛ لأنه إذا كثر ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر.

وإن تعدد طرف الثاني–أعني المشبه به دون الأول– سمي تشبيه الجمع، كقول البحتري:

كأنما يَبْسَم عن لؤلؤ *** منضّد أو بَرَد أو أقاح(١).

---

(١) البيت لامرئ القيس، يصف عنابًا بكثرة الصيد، والوكر: عش الطائر، والعناب: شجر كحب الزيتون أحمر، والحشف: أردأ التمر، شبه الرطب من القلوب، بالعناب، واليابس بالحشف البالي.

(٢) هو عمرو بن سعد شاعر جاهلي. "والنشر": الرائحة الطيبة، "والعنم" بالتحريك شجر لين الأغصان أحمر اللون تشبه به أصابع الجواري المخضبة، وأراد بأطراف الأكف: الأصابع. والمراد بالثغر الأسنان، "واللآلي" جمع لؤلؤة سهلت همزته الروى.

(٣) الخوط: الغصن الناعم، والبان: شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف، وقوله: رنت: بمعنى نظرت، والمراد أنها بدت بوجه كقمر، ومالت بقوام كخوطبان، وفاحت برائحة كعنبر، ونظرت بعين كعين غزال.

(٤) الصدغ: ما بين الأذن والعين، ويطلق على الشعر المتدلي من الرأس على هذا الوضع، وهو المراد هنا، والثغر: الفم أو مقدم الأسنان، والثاني هو المراد هنا، واللآلي: جمع لؤلؤة سهلت همزته الروى.

(١) و"المنضد" المنظم"، والبرد" بفتح الراء حب الغمام،" الأقاحي" بفتح الهمزة جمع "أقحوان" بضم فسكون فضم، وهو زهر زكى الرائحة كالورد وأوراقه أشبه بالأسنان. شبه البحتري في البيت الثاني ثغر محبوبته بثلاثة أشياء –اللؤلؤ– والبرد، والأقاحي– فالمشبه شيء واحد، وهو "الثغر" المفهوم من قوله: "يبسم" والمشبه به متعدد –كما ترى– "وأو" هنا بمعنى "الواو" أو هي على =

ومثله قول امرئ القيس:

كأن المدام وصوب الغمام***وريح الخُزَامَى ونشر القُطُر

يعل به برد أنيابها*** إذا طرّب الطائر المستَحِر(١).

شبه ماء فيها فى طيبه عند السحر، بالمدام، وهى الخمر، وصوب الغمام الذى يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطر وهو رائحة العود، وهو كما نرى المشبه واحد والمشبه به متعدد.

المطلب الثاني: أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ).

وأما باعتبار وجهه: فله ثلاثة تقسيمات:

تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد.

تشبيه التمثيل:

ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور(٢)، وقيده السكاكي بكونه غير حقيقي، ومثّله بصور مثّل بها غيره أيضًا، منها قول ابن المعتز:

اصبر على مَضَض الحسو***د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها *** إن لم تجد ما تأكله (١)

وقيد السكاكي -بكونه غير حقيقي- أي مع كونه مركبًا مطلقًا، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور، فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقي وغيره.

=

أصلها لقصد التنويع، ولما لم يعين واحد بخصوصه كان كأنه مشبه بالثلاثة. والتشبيه هنا ضمني، يدل عليه لفظ "كأن"، وكأنه يقول: كأنما يبسم عن ثغر كاللؤلؤ، أو برد، أو أقاح. [المنهاج الواضح للبلاغة: (٥/ ٢٤).

(١) المدام: الخمر، النّشر: الرّيح، القطر: عود البخور. صوب الغمام: ماء السحاب، الخزامى: قال أبو حنيفة: عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهرة طيبة الريح لها نور كنور البنفسج، قال: ولم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى. القطر، بضم الطاء وبسكونها: العود الذى يتبخر به. قال فى اللسان:" شبه ماء فيها فى طيبه عند السحر بالمدام وهى الخمر وصوب الغمام الذى يمزج به الخمر وريح الخزامى ونشر القطر وهو رائحة العود".

(٢) فيكون بهذا قريبًا من التشبيه المركب.

(١) والمضدد: مصدر مض من الشيء، بمعنى شق عليه وآلمه، والتشبيه في البيتين ضمني.

وفي البيتين تشبيه الحسود المتروك مقاولته- مع تطلبه إياها؛ لينال بها نفثة مصدور- بالنار التي لا تُمد بالحطب في أمر غير حقيقي، منتزع من متعدد، وهو إسراع الفناء؛ لانقطاع ما فيه مدد البقاء. ومنها قول صالح بن عبد القدوس:

وإن من أدبته في الصِّبا***كالعود يُسقَى الماء في غرسه

حتى تراه مونقًا ناضرًا*** بعد الذي أبصرت من يبسه

"فإن تشبيه المؤدَّب في صباه بالعود المسقيّ أوان غرسه فيما يلزم كل واحد، من كون المؤدب في صباه مهذب الأخلاق حميد الفعال؛ لتأديبه المصادف وقته، وكون العود المسقي أوان غرسه مونقًا بأوراقه ونضرته؛ لسقيه المصادف وقته من تمام الميل، وكمال الاستحسان، بعد خلاف ذلك"[(١)].

ومنها قوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ "[(٢)].

"فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر غير حقيقي منتزع من متعدد، وهو الطمع في حصول مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة، مع تعقب الحرمان والخيبة؛ لانقلاب الأسباب"[(٣)].

تشبيه غير التمثيل:

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك، كما سبق في الأمثلة المذكورة[(٤)].

التشبيه المجمل:

"والمجمل ما لم يذكر وجهه، فمنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة، كقولنا: "زيد أسد"؛ إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها"[(١)].

---

(١) الإيضاح: ٢٣٥.

(٢) البقرة: ١٧.

(٣) الإيضاح: ٢٣٥.

(٤) أي للتشبيه قبل التمثيل.

(١)الإيضاح: ٢٣٥.

ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة؛ كقول من وصف[١] بني المهلب للحجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجد:" كانوا كالحلقة المفرغة[٢] لا يدرى أين طرفاها" أي: لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلًا وبعضهم أفضل منهم، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفًا وبعضها وسطًا[٣].

وأيضا منه ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به، كالمثال الأول.

ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثاني، ونحوه قول زياد الأعجم:

وإنا وما تُلقِي لنا إن هجوتنا***لكالبحر مهما تُلقِ في البحر يغرق

وكذا قول النابغة الذبياني:

فإنك شمس والملوك كواكب***إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما، كقول أبي تمام:

صدفت عنه ولم تَصدِف مواهبه***عني وعاوده ظني فلم يَخِب

كالغيث إن جئته وافاك رَيّقه***وإن ترحّلت عنه لجّ في الطلب

التشبيه المفصل:

والمفصل ما ذكره وجهه[٤]، كقول ابن الرومي[١]:

يا شبيه البدر في الحسـ ***ـن وفي بعد المنال

جُدْ فقد تنفجر الصخـ ***ـرة بالماء الزلال[٢]

(١) هو كعب الأشقري.

(٢) أي: التي أذيب معدنها وأفرغ في قالب.

(٣) هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بني المهلب، ونسبه الشيخ جار الله العلامة الزمخشري إلى الأنمارية، قيل: هي فاطمة بنت الخرشب سُئلت عن بنيها: أيهم أفضل؟ فقالت: عُمارة، لا، بل فلان، لا، بل فلان، ثم قالت:" ثكلتُهم إن كنت أعلم أيهم أفضل، هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها".

(٤) أي: بنفسه، أو بما يستتبعه، كما سيأتي.

(١) علي بن العباس المعروف بابن الرومي.

(٢) والمنال: مصدر ميمي بمعنى: التناول، أو اسم مكان، يعني بذلك وصاله وأنه كالبدر في بعد مناله. وقوله:" جد"، يعني: بالوصال، والماء الزلال: هو العذب الصافي الذي يمر سريعًا في الحلق.

وقول أبي بكر الخالدي:

يا شبيه البدر حسنا***وضياء ومنالًا

التشبيه القريب المبتذل:

"والقريب المبتذل، وهو ما يُنتقَل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر؛ لظهور وجهه في بادئ الرأي، وسبب ظهوره أمران:

الأول: كون الشبه أمرًا جمليًا؛ فإن الجملة أسبق أبدًا إلى النفس من التفصيل؛ ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل؟ لكن على الجملة، ثم على التفصيل، ولذلك قيل: "النظرة الأولى حمقاء، وفلان لم يُنعم النظر" وكذا سائر الحواس، فإنه يدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في المرة الأولى، فمن يروم التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة، يريد تمييزه مما اختلط به، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزافًا، وكذا حكم ما يدرك بالعقل، ترى الجمل أبدًا تسبق إلى الذهن، والتفاصيل مغمورة فيها، لا تحضر إلا بعد إعمال الروية.

والثاني: كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن: إما عند حضور المشبه؛ لقرب المناسبة بينهما، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجّاصة(١) في الشكل وفي المقدار، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك، وإما مطلقا لتكرره على الحس، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة؛ فإن قرب المناسبة والتكرر كل واحد منهما يعارض التفصيل؛ لاقتضائه سرعة الانتقال"(٢).

التشبيه البعيد الغريب:

"والبعيد الغريب، وهو ما لا يُنتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر؛ لخفاء وجهه في بادئ الرأي، وسبب خفائه أمران:

أحدهما: كونه كثير التفصيل، كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل، فإن ما ذكرناه من الهيئة، لا يقوم في نفس الرائي للمرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يُستأنف تأملا،

---

(١) الإجاصة: واحدة الإجاص، وهو شجر ثمره لذيذ حلو.

(٢)الإيضاح: ٢٣٧.

ويكون في نظره متمهِّلا.

والثاني: نُدُور حضور المشبه به في الذهن: إما عند حضور المشبه؛ لبعد المناسبة بينهما، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت، وإما مطلقًا؛ لكونه وهميًا، أو مركبًا خياليًا، أو مركبًا عقليًا، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال، وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد، وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا، فإن كلا سبب لندرة حضور"(١).

التشبيه البعيد وهو التشبيه البليغ:

والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع- أعني البعيد- لغرابته؛ ولأن الشيء إذا نِيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى؛ ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد الماء على الظمأ، كما قال(٢):

وهن ينبذْنَ من قول يصبن به *** مواقع الماء من ذي الغُلَّة الصادي(٣)

لا يقال: عدم الظهور ضرب من التعقيد، والتعقيد مذموم؛ لأنا نقول: التعقيد- كما سبق- له سببان: سوء ترتيب الألفاظ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو المراد باللفظ.

والمراد بعدم الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعاني على بعض، كما يشعر بذلك قولنا: "في بادئ الرأي"، فإن المعاني الشريفة لا بد فيها -في غالب الأمر- من بناء ثانٍ على أول، وَرَدّ تالٍ إلى سابق، كما في قول البحتري:

دانٍ على أيدي العُفاةِ وشاسعٌ*** عن كل ندٍّ في الورى وضريب
كالبدر أفرط في العلوّ وضوؤُه***للعُصبة السارينِ جدُّ قريبُ(١)

---

(١)الإيضاح: ٢٣٨.

(٢) القائل القطامي، ينظر ديوانه: ص ٨١.

(٣) البيت من البسيط، ينظرديوان القطامي ٨١، واللسان (صدى)، وأساس البلاغة (نبذ).وقوله "ينبذن" يرمين" والغلة" حرارة العطش "والصادي" العطشان.

(١) هنا يصف الشاعر الممدوح بصفتين متناقضتين في الظاهر، وهما الدنو والعلو، ثم زال هذا التناقض الظاهري بالمشبه به الذي بيَّن أن لما ادعاه الشاعر نظيرًا في الوجود.

وهنا يصف الشاعر الممدوح بصفتين متناقضتين في الظاهر، وهما الدنو والعلو، ثم زال هذا التناقض الظاهري بالمشبه به الذي بيَّن أن لما ادعاه الشاعر نظيرًا في الوجود، وهو البدر ارتفاع مفرط، وضوء قريب منير.

المطلب الثالث: أقسام التشبيه باعتبار أداته (مؤكد، أو مرسل)

أقسام التشبيه باعتبار أداته:

وأما باعتبار أداته، فإما مؤكد، أو مرسل.

المؤكد: ما حُذفت أداته؛ كقوله تعالى: "وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ"(١)، وقوله: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا "(٢)، وقول الحماسي:

هم البحور عطاء حين تسألهم***وفي اللقاء إذا تلقي بِهِم بُهُم(٣).

ومنه نحو قول الشاعر(٤):

والريح تعبث بالغصون وقد جرى***ذهب الأصيل على لُجَيْن الماء(٥)

وقول الآخر يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار(٦):

كأنما أدهم الإظلام حين نجا***من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقول الشريف الرضي:

أرسى النسيم بواديكم ولا برحت***حوامل المزن في أجداثكم تضع

ولا يزال جنين النبت ترضعه***على قبوركم العَرَّاضة الهَمِع(١)

---

(١) النمل: ٨٨.

(٢) البقرة: ١٧.

(٣) نسبه أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين، لزياد بن جميل، ينظر الصناعتين:(١/ ٤٤٩).

(٤) القائل: إبراهيم بن خفاجة الأندلسي.

(٥) والأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب – واللجين الفضة.

(٦) القائل ابن وكيع من قصيدة: ولاح لي هلالها كقوسِ رامٍ إذْ يغطْ

(١) الجنين: المولود في بطن أمه – حوامل: جمع مفرده حامل وهي من النساء الحبلى ومن الغيوم الممطرة – المزن: واحدها مزنة وهي الغيمة – أحشا: ترخيم أحشاء وهي الجوف.

والمرسل: "ما ذُكرت أداته؛ كقوله تعالى: "مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا "(١)، وقوله عز وجل: "عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ "(٢)، وقول امرئ القيس(٣):

وتعطو برَخْص غير شَثْن كأنه***أساريع ظبي أو مساويك إسحل(٤)

وقول البحتري:

وإذا الأسنة خالطتها خلتها***فيها خيال كواكب في الماء.

فهنا شبه الأسنة إذا خلطتها الدروع بخيال الكواكب تبدو في الماء بجامع الصفاء واللمعان، ولا يخفى أن المشبه والمشبه به قد وقعا مفعولين للفعل خال، الذي أرشد إلى التشبيه، وأن أداة التشبيه هي الكاف المقدرة، والتقدير: خلتها فيها كخيال كواكب في الماء. ومعنى البيت دقيقٌ غريبٌ حسنٌ مصيبٌ ما أظنه سبق إليه.

ولا شك أن اتحاد المشبه مع المشبه به في الذات بحذف أداة التشبيه، وفي الصفات بحذف وجه الشبه مما يرفع التشبيه لأعلى منازله لاسيما إذا امتزج ذلك مع إيصال المعنى المراد وإفادة العرض من التشبيه.

المطلب الرابع: أقسام التشبيه باعتبار الغرض (مقبول، أو مردود)

أقسام التشبيه باعتبار الغرض:

وأما باعتبار الغرض؛ فإما مقبول، أو مردود:

١- **التشبيه المقبول**: "الوافي بإفادة الغرض، كأن يكون المشبه به أعرف شيء بوجه الشبه، إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه، أو بيان المقدار. ثم الطرفان في الثاني(١) إن تساويا في وجه الشبه، فالتشبيه كامل في القبول، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم

(١) البقرة: ١٧.

(٢) الحديد: ٢١.

(٣) شرح المعلقة:(١/ ٣٥).

(٤) العطو: التناول والفعل عطا يعطو عطوًا، والإعطاء المناولة، والتعاطي التناول، والمعاطاة الخدمة، والتعطية مثلها. الرخص: اللين الناعم. الشثن: الغليظ الكز، وقد شن شثونة الأسروع واليسروع دود يكون في البقل والأماكن الندية، تشبه أنامل النساء به، والجمع الأساريع واليساريع. ظبي: موضع بعينه. المساويك جمع المسواك. الإسحل: شجرة تدق أغصانها في استواء، تشبه الأصابع بها في الدقة والاستواء. يقول: وتتناول الأشياء ببنان رخص ليّن ناعم غير غليظ ولا كز.

(١) أي: بيان المقدار.

من الزيادة والنقصان، كان أقرب إلى الكمال، أو كأن يكون المشبه به أتم شيء في وجه الشبه، إذا قُصد إلحاق الناقص بالكامل، أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب في وجه الشبه؛ إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود"(١).

وأرى أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرف الطرفين بذلك، ويكفي أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره، ولا يشترط في وجه الشبه أن يكون صفة ظاهرة في المشبه به، كما ذهب إليه بعضهم؛ لأنه يصح أن يكون صفة خفية، ولكن يجب بيانها في التشبيه، كقولك: رأيت رجلًا كالأسد في البحر، وكذلك لا يشترط أيضًا إلا أن يكون المشبه به أتم الطرفين فقط في ذلك؛ إذا لأغراض تختلف فقد يكون أقل في وجه الشبه ويكون الغرض من التشبيه التهكم.

٢- التشبيه المردود:

والمردود بخلاف ذلك؛ أي: القاصر عن إفادة الغرض.

على نحو منه قول الفرزدق(٢):

يمشون في حلق الحديد كما مشت***جرب الجمال بها الكحيل المشعل(٣)

فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب، وهذا من التشبيه البعيد؛ لأنه إن أراد السواد، فلا مقاربة بينهما في اللون؛ لأن لون الحديد أبيض، ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض، ومع كون هذا التشبيه بعيدًا، فإنه تشبيه سخيف.

وأرى أن هذا العيب هو ما يخل بالتشبيه على أي حال، فإذا كان الغرض من التشبيه إفادة الإيضاح وإيصال الغرض المطلوب منه، فإذا اختلف ذلك الأمر فلا فائدة من التشبيه عندئذ.

(١) الإيضاح: ٢٤٨.

(٢) قال محقق العقد: تنسب الأبيات في غمرة الموت، لما سمعت، ومحلم إلى عنترة وأنا أنفي لما سمعت نداء مرة ومحلم فهي في الواقع أقرب إلى أفنون التغلبي لأن محلم الشيباني وقف في الحرب مع بكر ضد بني تغلب ولم يكن في حرب مع عنترة وكذلك آل مرة بن ذهل قاتلوا كليب بن ربيعة قتله جساس بن مرة وابني ربيعة إنما هما حيا بكر وتغلب فهم أبناء ربيعة بن نزار بن معد.

(٣) الكحيل: القطران، تطلى به الإبل، والمشعل: الكثير. والمشعل الحديدة التي يحرق بها الجلد، ويروى: "كأنهم" موضع "كما مشت".

الخاتمة

بعد القراءة المتأنية في علم البيان، وفي التشبيه وجدت أن من أهم النتائج ما يلي:

أولًا: إن للبيان منزلة عظيمة، بل هو منحة ربانية للإنسان، وقد أشار إلى مزاياه كثير من العلماء[١].

ثانيًا: للدلالة أنواع ثلاثة هي: الأولى: إما على ما وضع له، وتسمى دلالة وضعية. والثانية: دلالة على غير ما وضع له. والثاني: إما داخل في الأول، دخول السقف في مفهوم البيت... أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف. وتسمى الأولى دلالة وضعية، وكل واحد من الآخرين دلالة عقلية، وتختص الأولى: بدلالة المطابقة، والثانية: بدلالة التضمن، والثالثة: بدلالة الالتزام، ويظهر من خلال تلك الدلالات غموض ولكن استخدام كل من تلك الدلالات في موضعها الذي يناسبها يظهر بلاغة وجودة في الكلام ولا ولا شك في ذلك فالبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ثالثًا: الذي عليه جمهور أهل البلاغة، أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير إليه، وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة وحذاقها إلى أن التشبيه من المجاز؛ لأنه معنى من المعاني، وله حروف وألفاظ تدل عليه وضعًا كان الكلام على حقيقته أو مجاز، فإذا قلت: زيد كالأسد، وهذا الخبر كالشمس في الشهرة، وله رأي كالسيف في المضاء، لم يكن مثل نقل اللفظ عن موضعه، فلا يكون مجازًا[٢] ولا أرى أن التشبيه من أنواع المجاز؛ لأنه لا يدعى فيه دخول المشبه في جنس المشبه به وإنما يبنى على المماثلة والمشابهة ولا خلاف في الفرق بين قولنا: سلمت على أسد، وبين مُحَمَّد كالأسد، وأرى أن ما حدا بالبعض لاعتبار التشبيه من المجاز هو اعتماد الاستعارة عليه.

---

(١) الجاحظ فقال:" والبيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أيّ جنسٍ كان الدّليل؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام؛ فبأيّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع"الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في البيان والتبيين: (٧٦/١) ، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

(٢) ابن القيم في الفوائد المشوق إلى علوم القرآن: ص ٥٤، طبعة مكتبة المتنبي بدون تأريخ.

رابعًا: ترجع أهم أسباب تأثير التشبيه إلى ما يحصل للنفس من الأُنس بإخراجها من خفي إلى جلي، كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته.

خامسًا: للتشبيه أغراض كثيرة أرى أن أجملها هو إظهار أن المشبه أتم وأكمل من المشبه به في وجه الشبه، وهذا ما يحصل في التشبيه المقلوب في مثل:

وبدا الصباح كأن غرته*** وجه الخليفة حين يمتدح.

سادسًا: للتشبيه تقسيمات كثيرة أهمها: أقسام التشبيه باعتبار طرفيه، (تشبيه التسوية والجمع).

وأقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه (تمثيل، وغير تمثيل، ومجمل ومفصل، وقريب وبعيد وهو التشبيه البليغ)، وأقسام التشبيه باعتبار أداته (مؤكد، أو مرسل)، وأقسام التشبيه باعتبار الغرض (مقبول، أو مردود)، ألقى العلماء الضوء على كثير منها وأهملو بعضها، وكان تركيزهم على تشبيه التمثيل، والتشبيه البليغ.

سابعًا: تلك التقسيمات للتشبيه ليست مهمة في ذاتها وإنما تأتي أهميتها في الإيضاح وإيصال المعنى للسامع، فإصابة الغرض وتوضيح المعنى في التشبيه هو الأهم.

ثامنًا: شاع بين كثير من العلماء أن التشبيه البليغ ما حذف منه وجه السبه والأداة، وهذا لا ينضبط على الدوام، وأرى أن مقصدهم من ذلك مقصد لفظي لا غير بدعوى اتحاد المشبه بالمشبه به، وعمومية وجه الشبه، ولكن عند النظر في الغرض الذي من أجله يستخدم التشبيه نرى أن بعض الأمثلة لا يصلح معها حذف وجه الشبه والأداة ولو حذفتا لختل المعنى مثل قول بعضهم الأصدقاء كالنار قليلها متاع مكثيرها بوار، فلو حذف الوجه والأداة لقيل الأصدقاء كالنار، وهذا العموم يفسد المعنى، ولكن إصابه الغرض وإيضاح المقصود بأي صورة من صور التشبيه هو ما يجعل التشبيه في أعلى درجاته.

التوصيات:

- إبراز أهم آثار التشبيه على النفس البشرية من ناحية علم النفس.
- الحرص على أن يكون الغرض هو إيصال المعنى أولًا بلا تكلف ثم بعد ذلك يأتي تزيين الكلام.

أهم المصادر والمراجع

- السيوطي، الحافظ جلال الدين السيوطي، في الإتقان في علوم القرآن، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية.

- الزمخشري، مُحَمَّد بن عمر، في أساس البلاغة، تقديم د/ محمود فهمي، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، سنة ٢٠٠٣م.

- الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، في أسرار البلاغة، شرح وتحقيق، د/ عبد المنعم خفاجى، ود/ عبد العزيز شرف، طبعة دار الجيل بيروت، لبنان، الجزء الأول، سنة ١٩٩١م.

- الجرجاني مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق د/عبد القادر حسن، طبعة مكتبة الآداب بمصر سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

- خان ميرزا، صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن مُحَمَّد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم (المتوفى: ١١١٩هـ) في: أنوار الربيع في أنواع البديع، المحقق: شاكر هادي شُكر، مطبعة النعمان، النجف الشريف،١٩٦٨ - ١٩٦٩ م.

- القزويني جلال الدين مُحَمَّد بن عبد الرحمن "ت ٧٣٩ هـ"، في الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق ودراسة د/عبد القادر حسين، طبعة مكتبة الآداب بمصر سنة ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

- الصعيدي، عبد المتعال في، بغية الإيضاح، في شرح كتاب الإيضاح في علوم البلاغة، طبعة مكتبة الآداب بمصر، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في: البيان والتبيين: (٧٦/١) ، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، في: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- القطامي، ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي و أحمد مطلوب دار الثقافة.للنشر الطبعة الأولى (١٩٦١م).

- العسكري، أبو هلال العسكري، في الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

- العلوي، السيد الإمام يحيى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي اليمني، في الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز،. مراجعة / مُحَمَّد عبد السلام شاهين، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

- ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، طبعة مكتبة المتنبي، بدون تأريخ.

- ابن الأثير، ضياء الدين ابن الأثير المثل السائر لابن الأثير(١/٢٠)، ، تحقيق كامل مُحَمَّد مُحَمَّد عويضه.

- ابن مالك، بدر الدين بن مالك، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تحقيق د/حسنى عبد الجليل يوسف، طبعة مكتبة الآداب سنة ١٩٨٩ م.

- طبانة، بدوي طبانة، في معجم البلاغة العربية، طبعة دار المنارة للنشر والتوزيع جدة، دار ابن حزم بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧ م.

- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن مُحَمَّد بن على السكاكي، في مفتاح العلوم، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

- عوني، حامد عونى، في المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.